e-Şarkiyat İlmi Araştırmalar Dergisi
Journal of Oriental Scıentific Research (JOSR) www.esarkiyat.com ISSN: 1308-9633

JOSR Nisan-2017 Cilt:9 Sayı:1 (17) (s. 241-250) *JOSR* April-2017 Volume:9 Issue:1 (17)

الشعوبية في العصر العباسي "مهيار الديلمي أنموذجاً

Ahmed Aldyab*

الملخص:

يناقش هذا البحث ظاهرة الشعوبية التي سادت خلال فترة الضعف في العصر العباسي، ويتضمن البحث نظرة عامة على الشعوبية في العصر العباسي، ثم ينتقل إلى الحديث عن مهيار الديلمي وكيف برزت الشعوبية في شعره من خلال استخدام الدين ومن خلال تسخير موضوعات الشعر التقليدية، وينتهي البحث ببعض النتائج مستخدماً في ذلك المنهج الوصفي التحليلي.

الكلمات المفتاحية: الشعوبية، العرب ، الفخر، الفرس، الشعر

ABBASİ DÖNEMİNDE ŞUUBİYYE: MİHYÂRED-DEYLEMÎ ÖRNEĞİ

Öz

Bu araştırmada, Abbasilerin gerileme döneminde öne çıkan şuubiyye olgusu ele alınmaktadır. Çalışmada, Abbasi dönemindeki şuubiyye genel olarak ele alındıktan sonra Mihyâred-Deylemî'nin klasik ve modern şiir temalarında din motifini kullanarak şuubiyyeyi öne çıkarması incelenecektir. İlgili araştırma, betimsel analiz yöntemiyle elde edilen verilerin sunulduğu sonuç kısmıyla bitirilecektir.

Anahtar Kelimeler: Şuubiyye, Araplar, Övünme, İranlılar, Şiir.

SHU'UBİYYA MOVEMENT IN ABBASID CALIPHATE : MİHYAR AL-DEYLEMİ'S EXAMPLE

Abstract

In the present study, Shu'ubiyya movement, which came into prominence during regression period of Abbasid Caliphate, will be discussed. In the study, Mihyar al-Deylemi's bringing Shu'ubiyya into the forefront by using religious motifs in themes of classic and modern poetry will be analyzed after Shu'ubiyya movementin Abbasid Caliphate is discussed in general. Related research will be ended with a conclusion in which datum obtained through descriptive analysis method is presented.

Keywords: Shu'ubiyya, Arabs, Self-Praise, Persians, Poetry.

التمهيد:

شهد العصر العباسي الثاني تغلغل بعض نفوذ العناصر الأجنبية وتحكمهم بالسلطة وهذا ماذكره ابن الأثير حيث وصف حال الخلافة العباسية بقوله " لم يبق للخليفة غير بغداد والحكم في باقي الخلافة للعناصر الأجنبية "[1]. وقد احتدم نشاط الديالمة في فارس والجبل وما وراء النهر، وخرج من ممالك الديلم مجموعة لتملك البلاد منهم، ليل بن نعمان وأسفار بن شيرويه ومرداوج[2]، وأصبحت قوتهم تزداد يوماً بعد يوم،واتجهت أنظارهم إلى بغداد عاصمة الخلافة العباسية و كان الخليفة آنذاك يقبع في ضعف وضياع الهيبة، وأصبح المجتمع العربي في العصر العباسي خليطاً من العناصر المختلفة

Makale Gönderim Tarihi: 01.03.2017, kabul tarihi: 10.04.2017.
*Yıldırım Beyazıt Üniversitesi, e-posta: ahmad.adyab@gmail.com
[1]İbn Miskeveyh, *Tecârübü'l-Ümem*, Matbaatü't-Temeddüni's-Sınâ'iyye, Kahire, C. 5, s. 351.
[2]İzzeddin İbnü'l-Esîr, *el-Kâmil fi't-Târîh*, el-Matbaatu'l-Munîriyye ve Matbaatu'l-İstikâme, ty, C. 6, s. 230.

من عرب وفرس ومغاربة، وفيما بعد دخل المكون التركي في عهد الخليفة المعتصم بالله مساهماً مع هذه الجنسيات بعاداته وتقاليده[3].

وقد قطف عهد بني بويه ثمرة التناقض الاجتماعي والعنصري في مختلف العصور العباسية وغدت عاصمة الخلافة مسرحاً للعصبيات الجنسية والمذهبية، ومن هنا فقد أصبح المجتمع البغدادي عبارة عن تكتلات مذهبية وعنصرية. وقد ذكر الطبري في كامله أن محلات الكرخ وباب الطاق غدت مراكز لتجمع الشيعة، وعرف باب الشعير وباب البصرة بأنهما مناطق تجمع أهل السنة[4]، وأصبح التمييز العنصري قائماً بين العوام حتى أنهامتد إلى مجالس العلماء والشعراء وأخذت هذه المجالس طابعاً مذهبياً تتناثر فيه مسألة الأفضل والمفضول والأحسن نسباً ومن يحمل خصائص الذكاء والفطنة ومن هو الأحق للخلافة، وقد صور مهيار هذه القضية في شعره خير تصوير قائلاً[5]:

لاتُصبكَ مَلَالة عَنْ قَوْلَة تَرْوي عَنْ المَفْضُولِ حَقّ الأَفْضَل

ومن هنا فقد انقسم المجتمع إلى عنصرين وتباينت الصفات والعادات والتقاليد حتى إن كثيراً من الشعراء صور هذا الانقسام كما يظهر في قول مهيار يمدح الأمير المزيدي العربي[6]

وافْتَحْ بمَجَدِ الدين إن مد لها يمينه باب السّمَاحِ المُقْفَلَا

بالعَرَبِي نَسَبَاً وَكَرَمَاً والفَارسِي سِيرَةً ومِنْزلَا

وفي الحقيقة وإن ظهر في هذا البيت المدح لكلا العنصرين العربي والفارسي إلا أنه يمثل لوناً من ألوان الصراع بين القيم المتضاربة في هذا العصر الذي ذابت الشعوبية وتغلغلت في جذوره.

وتبدو الصورة واضحة من خلال مدح مهيار الديلمي أحد أصدقائه الفرس بقوله[7]:

إن يفتنا الخطيب والمنبر المنصوب فالتاج حظنا والسرير

الشعوبية:

يقول ابن الكلبي: "الشعب أكبر من القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم العشيرة"[8]. وقد أطلقت لفظة شعوب على العجم والقبائل على العرب[9]. وقد حاول بعض الباحثين أن يحدد البدايات الأولى لظهور هذا المفهوم لكنهم لم يستقروا على تاريخ معين إلا أن بعضهم اعتبر مقتل الخليفة بن الخطاب على يد أبي لؤلؤ المجوسي أول ملامح الشعوبية، فكما هو معروف أن عمر بن الخطاب أزال وحطم عرش الأكاسرة الفرس؛ ومن هنا كانت النقمة وثارت الأحقاد من العنصر الشعوبي تجاه العرب[10]. ومن الباحثين من أرجع الشعوبية إلى العصر الأموي في إطار الإسلام، حيث دعت بعض العناصر الأجنبية إلى مساواة الشعوب الأخرى بالعرب في الإدارة والمجتمع ثم انكشفت أهدافها الحقيقية في العصر العباسي[11]، لكن حركة الموالي وعلى رأسهم الفرس لم يكن يهمها الإدارة أو الغنى الاقتصادي فحسب، لأن هذا الأمر قد تحقق لهم في العصر العباسي، لكن أهدافهم كانت ترمي إلى هدم الدولة العربية والانتقام ومن ثم إعادة أمجاد الأكاسرة من جديد، وقد ظهر هذا واضحاً وجلياً في كثير من شعر الشعوبية، فظهرت نزعاتهم حتى في حضرة الخلفاء العرب مما يؤكد أن الحقد ملأ قلوبهم وصدورهم، وهاهو إسماعيل بن يسار النسائي الذي قيل عنه " إنه كان شعوبياً شديد

[3]Ahmed Emîn, *Zuhru'l-İslâm*, Matbaatu Halef ve Matbaatu Lücneti't-Te'lîf ve'n-Neşr, 1957 s. 75.
[4]İzzeddin İbnü'l-Esîr, *a.g.e.*,s. 218.
[5]Mihyâr ed-Deylemî, *Dîvânu Mihyâri'd-Deylemî*, 1. bs., Ahmed Nesîm (Thk.) Dâru'l-Kutubi'l-Arabiyye, Kahire, s. 160.
[6]Mihyâr ed-Deylemî, a.g.e., s. 22.
[7]Mihyâr ed-Deylemî, a.g.e., s. 61.
[8]İbn Abdürabbih, *el-İkdü'l-Ferîd*, Matbaatu Lücneti't-Te'lîf ve'n-Neşr, Kahire 1940, s. 335.
[9]İbn Manzûr, *Lisânü'l-Arab*, Dâru Beyrut, 1956,"şa'b" md.
[10]Muhammed Bedî' Şerîf, *es-Sırâ' beyne'l-Mevâlî ve'l-Arab*, Dâru'l-Kitâbi'l-Arabî, Kahire 1954, s. 30.
[11]Abdülaziz ed-Devrî, *el-Cüzûrü't-Târiîhiyye li'ş-Şu'ûbiyye*, Dâru't-Talîa, Beyrut 1998, s. 9.

التعصب على العرب وله شعر كثير يفخر فيه بالأعاجم "[12]ففي ذات يوم دخل مجلس الخليفة هشام بن عبد الملك مفتخراً بنسبه الفارسي حيث يقول:

أَصْلِي كَرِيم ومَجْدِي لَا يُقَاسُ بِهِ وَلِي لِسَانٌ كَحد السيفِ مَسْمُوم

أحمي بِه مجدَ أقوامٍ ذَوي حَسَب منْ كِلِ قرمٍ بِتَاجِ المُلكِ مَعْمُوم

مِنْ مِثْلِ كِسْرَى وسَابُور الملك معا والهرمزان لِفَخْرٍ أوْ لِتَعْظِيم

وبهذا الشعر أثار غضب هشام وأمر بإخراجه من مجلسه[13]. ومن الملاحظ أن الحرية التي كانت سائدة آنذاك وفرت الجو المناسب لتمدد الشعوبية في نواحي الحياة كافة وكان للشعر والأدب نصيب في ذلك.

ونحن عندما نذكر الشعوبية تُستحضر صورة بشار بن برد الذي جذّر الشعوبية وفتح بابها على أوسع حال، يقول بشار وهو يفتخر على العرب ويقلل من شأنهم[14]:

سَأُخْبِرُ فَاخَرَ الأعْرَابِ عني وعَنْهُ حِيْنَ تأذن بالفَخَارِ

أنَا ابْنُ الأَكْرَمِين أبَا وأمّا تُنَازِعُنِي المَرازب من طخارِ

ولم تقتصر هذه الدعوى على بشار وحده وإنما تجاوزتها إلى العديد من الشعراء، فالشاعر أبو يعقوب اسحاق يفتخر برموز الفرس قائلاً[15]:

وأنّ أبِي سَاسَان كِسْرَى بن هُرْمُز وحَاقَان لِي لَو تَعْلَمِين نسيب

مَلَكْنَا رقَابَ النّاسِ فِي الشّرْقِ كلُّهُم لنَا تَابع طوع القِيَادِ جنيب

ولا تخفى علينا شعوبية أبي نواس حيث حاول تفضيل الفرس على العرب وهذا مانادى به معظم شعراء الفرس، يقول أبو نواس[16]:

فَهَذَا العُيْشُ لا خِيم البَوَادِي وَهَذَا العُيْشُ لا اللبن الحَلِيْب

فأينَ البَدُو من إيوَانِ كِسْرَى وأيْنَ من المَيَادِينِ الزروب

مهيار الديلمي:

اسمه وكنيته ولقبه وحياته:

هو أبو الحسن مهيار بن مرزويه الديلمي الشاعر الكاتب وهو من عائلة شريفة، نشأ في جيلان وهي منطقة في فارس جنوب قزوين[17]، واختلف في كنيته فمنهم من لقبه بأبي الحسن وآخرون لقبوه بأبي الحسين[18]. عاش مهيار الديلمي في العقد الأخير من القرن الرابع للهجرة، وهو الديلمي النازح إلى بغداد، فالديلم هم شعب إيراني سكنوا بالجبل ووصفهم المؤرخون بالتعصب وعدم الانقياد والتمرد إلى أن دعاهم الحسن بن علي المعروف بالأطروش إلى الإسلام[19]، وقد جاء مهيار من من جيلان في فارس إلى بغداد في العقد الثاني من عمره مجوسياً حاملاً تاريخاً غامضاً عن ولادته، وقد وصف مهيار بالكاتب الشاعر ولكنه اشتهر بالشعر بعد أن رعاه الشريف الرضي. دخل مهيار الإسلام سنة 394

[12]Ebü'l-Ferec el-İsfahânî, *el-Egânî*, 6. bs., Kahire, C. 4, s. 120.
[13]Ebü'l-Ferec el-İsfahânî, *a.g.e*., C. 4, s. 134.
[14]Ebü'l-Ferec el-İsfahânî, *a.g.e*., C. 3, s. 4.
[15]Mihyâr ed-Deylemî, a.g.e., s. 69.
[16]Taha Hüseyin, *Hadîsü'l-Erbi'â'*, Dâru'l-Maârif, Kahire, s. 90.
[17]Muhammed Nebîh Hicâb, *Mezâhiru'ş-Şu'ûbiyye fi'l-Edebi'l-Arabî hattâ Nihâyeti'l-Karni's-Sâlisi'l-Hicrî*, 1. bs., Matbaatu Nahdati Mısr, Kahire, s. 289.
[18]İbn Hallikân, *Vefeyâtu'l-A'yân ve-Enbâ'i Ebnâ'i'z-Zamân*, Muhammed Abdulhamid (Thk.), Matbaatu's-Saâde, Kahire C. 4, s. 444.
[19]İbn Şehrâşûb, *Me'âlimu'l-Ulemâ*, el-Matbaatu'l-Huyûriyye, Necef 1961, s. 146.

للهجرة[20]، وكان إعلان مهيار لإسلامه بداية لشتم وسب الصحابة والعرب وقريش بعد أن توفرت له الحماية في ظل التشيع، وقد أنكر عليه أهل السنة هذه الحالة، وهذا مايؤكده قول عبد الواحد بن علي بن اسحاق أبو القاسم بن برهان عندما قال لمهيار "يا مهيار لقد انتقلت بإسلامك في النار من زاوية إلى زاوية، قال وكيف ذاك، قال: لأنك كنت مجوسياً فأسلمت فصرت تسب الصحابة ".[21]

وهذه الحالة في الحقيقة من أغرب ما وجد من الداخلين الجدد في الإسلام، وهذا وإن دل على شيء فإنه يدل على حقده وضغائنه في كره العرب والإساءة إليهم. توفي مهيار سنة 428 للهجرة مخلفاً ديواناً كبيراً من الشعر.[22]

شعوبية مهيار في شعره:

يقول الأستاذ أحمد أمين " وقد تعصب بعض شعراء الفرس في ذلك العهد لفارسيتهم ومن أشهر هؤلاء مهيار، فنرى ديوانه قد مليء بالتهنئة بيوم النيروز ويوم المهرجان وبمراسلة بعض البويهيين القدوم إلى بغداد والاستيلاء عليها ".[23] ذكرنا من قبل أن مهيار دخل الإسلام، وعادة يكون من تمثل دين الإسلام بعيداً عن مظاهر الفتنة والانقسام، فمهيار كان قبل إسلامه شديد التعصب للعنصر الفارسي بكل ملامحه وأجزائه. وشعوبية مهيار ليست افتراء عليه ولا توهماً باطلاً وإنما هي واضحة، فقد حاول بعض الكتاب أن يدافع عن مهيار وينفي عنه هذه التهمة[24]، لكن هذا الدفاع كان دفاعاً أعمى وناتجاً عن أهداف دينية وسياسية، ففكر مهيار لم يكن عشوائياً وإنما كان يسير وفق مخطط منظم يستند إلى أفكار الشعوبية، فقد حاول أن يستغل الجانب الديني والجانب السياسي و الاجتماعي وحتى موضوعات الشعر التقليدية ليؤكد فضل الفرس على العرب، ويمكن أن نرى ذلك من خلال عدة نقاط.

1- تسخير الدين لمصالحه الشعوبية:

لقد ظن الشعوبيون في العصر العباسي أن حقوقهم كانت مضطهدة، وهذا الظن ليس في الحقيقة إلا حقد متجذر في طبيعتهم، فعندما جاء الإسلام دعا إلى المساواة والعدالة، ومن هنا حاول الشعوبيون استغلال هذه النقطة بإظهار ضعفهم وأن حقوقهم مسلوبة، وقد عرف الشعوبيون استغلال الدين الجديد فبدؤوا بالتهجم على العرب ومن ثم على العربية إلى أن انتهت بالإسلام نفسه[25]، فالشعوبية بدأت تهاجم الإسلام من خلال تعاليم الإسلام نفسها.وهكذا اختبأ مهيار وراء الدين وجعله ساتراً وسلاحاً في نفس الوقت فاستغل هذه النقطة واستطاع أن يجعل من الدين نفسه سلاحاً لمحاربة العرب والعروبة، يقول مهيار في أحد أبياته:

آبَاي مِنْ فِارِس والدّينُ دِيْنُكُم حَقّاً لَقَدْ طَابَ لِي أس ومَرْتَبَع

فهو في هذا البيت وإن يعترف بأن الدين منسوب للعرب لكنه يفتخر بآبائه ونسبه وكأنه يريد أن يقول بأننا نحن أحق بالرسالة والدين من العرب، وهذا ما نجده في أبيات كثيرة عند مهيار، فهو يقرر أن الفرس هم من نصر المظلوم وأحق الحق ونشر العدل والمساواة بين الناس، يقول في إحدى قصائده التي يفتخر بها بالفرس:[26]

من فرس الباطل بالحَقِ ومنْ أرغم للمظلُومِ أنف الظَّالِمِ
إلا بَنُو سَاسَان أو جُدُودهم طر بِخَوافِيهم و بِالقَوادِمِ
أيُّهُم أبْكِي دَمَاً فَكُلُّهُم يحل عَنْ دُمُوعِي السّوَاجِمِ
كَمْ جَذبت ذِكْرَاهُم مِنْ جلدِي جَذْب الفَرِيق مِنْ فُؤَادِ الهَائِمِ
لَا غَرَوَ والدّنْيَا طَابْتْ إِذَا لمْ تَحلُ يَومَاً بَعْدَهَمْ لطاعِمِ

[20]Ali b. Hüseyin Mes'ûdî, *el-Mürûcu'z-Zeheb ve-Me'âdini'l-Cevher*, Muhammed Abdulhamid (Thk.), Matbaatu's-Saâde, Kahire, s. 375.
[21]Ebü'l-Ferec İbnü'l-Cevzî, *el-Muntazam fî Târîhi'l-Mülûk ve'l-Ümem*, Haydarabad 1353, s. 94.
[22]İbn Tağrîberdî, *en-Nücûmu'z-Zâhire*, s. 56.
[23]Ali b. Hasan Bâharzî, *Dimyetü'l-Kasr ve Usretü Ehli'l-Asr*, el-Matbaatu'l-İlmiyye, Halep, s. 77.
[24]Ahmed Emîn, *Zuhru'l-İslâm*, Matbaatu Halef ve Matbaatu Lücneti't-Te'lîf ve'n-Neşr, 1957, s. 55.
[25]Mahmûd Ganâvî Züheyrî, *el-Edeb fî Zılli Benî Büveyh*, Matbaatü'l-Emâne, Kahire 1949, s. 158.
[26]Abdülaziz ed-Devrî, *a.g.e.*, s. 76.

فهو في هذه الأبيات يعلو ويسمو بمجد ساسان، ويبدو هذا الحزن على ذهاب ملك ساسان والفرس كمن يبكي أباه، فالبكاء تحول إلى الدم، والذكرى تحولت إلى نار تعتلج بصدر الشاعر، والدنيا لم يبق لها طعم ولا مذاق برحيلهم. ومهيار وإن حاول أن يدعي لساسان الحق في أفضليتهم للدين، فإنه في نفس الوقت يزيل صفة العدل والصفات الحسنة عن العرب ويصفهم بالغدر والخيانة، فهاهو يخاطب العرب قائلاً:[27]

نَقَضتُمْ عُهُودهُ فِي أَهْلِهِ وحلتم عَنْ سُنَنِ المَرَاسِمِ

وقد شَهدتمْ مَقْتَلَ ابْنِ عَمْهِ خَيْرَ وَصْل بَعْدَه وَصَائِم

وما اسْتَحَلّ باغيَاَ إمَامِكُم يَزِيْد بِألْطَفَ مِنْ ابْنِ فَاطِم

وَهَا إِلَى اليَوْمِ الظبا خَاضِبَة مِنْ دَمِهِ مناسر القَشَاعِمِ

والفُرْسُ لَمّا اعْتَلَقُوا بِدِيْنِهِ لَمْ تَنَلْ العُرْوَة كَف قَاصِمِ

فمَنْ إذَن أجْدَر أنْ يَمْلُكُهَا موقوفة عَلى النّعِيمِ الدّائِمِ

لا بَدّ يَوْمَاً أَنْ تُقَالَ عَثْرَةٌ مِنْ سَابِقٍ أَوْ هَفْوَةَ مِنْ حَازِمِ

فهذا التوبيخ والتقريع للعرب لا يصدر إلا عن نفس حاقدة مملوءة بالحسد وحب الذات، فالعرب ليسوا أفضل من الفرس لا في الصفات ولا في الذوات، فهم لم يرعوا حق النبوة ولا أهل بيته، وهذا التعميم الذي يصدره مهيار على جميع العرب هو من العمى وضيق الأفق، والبيت الأخير يصور مقولة الشيعة الإمامية بأنه لا بد أن يأتي يوم يخرج فيه المهدي يعيد الأمور إلى نصابها.

وركز مهيار في محاربته للعرب على رؤوس الإسلام، فقد وجه سهامه نحو الخلفاء الراشدين فوصف أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب بالغدر، وهذا التطرف إنما يمثل شعوبيته الحقيقية التي امتدت بعد إسلامه، يقول:[28]

أهْوَى عَلَيْنَا أمِيْرُ المُؤْمِنِين وَلَا أَلْوُمُ يَوْمَاً أبَا بَكْر ولا عُمَرَا

ولا أقول وإن لم يعطيا فدكا بنت النبي ولا ميراثه كفرا

اللهُ يَعْلَمْ مَاذَا يَأْتِيَان بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عُذْرٍ إذَا اعتَذَرَا

والعجب هو أنه هجا وثلب المكارم عن قريش قبيلة الرسول الكريم، وهذا ما تحقق إلا من بعض شعراء المشركين عندما أرادوا هجو الرسول الكريم، فأي عقيدة كانت تسيطر على هذا الرجل؟ يقول:[29]

ألا سَلْ قُرَيْشَاً ولُمْ مِنْهُم مَنْ اسْتَوجَبَ اللوم أو فند

وقلْ لهمْ بعْدَ طُولِ الضلا ل لمْ تشكروا نِعْمَةَ السيدِ

وشعوبية مهيار مرتبطة إلى حد كبير بتشيعه، فكان في شعره يدافع عن سيدنا علي وأبناءه ويرى أن الخلافة بعد الرسول الكريم كانت أحقيتها لسيدنا علي حتى أنه جعل مقتل الحسين سبباً من أسباب عدم تولي سيدنا علي الخلافة بعد الرسول ويضع اللوم على الخلفاء الراشدين في ذلك يقول:[30]

وما آل حرب جَنُوا إنّمَا أعَادُوا انْطِلَالَ عَلَى منْ بدِي

سيعلمُ من فاطم خصمه بِأَي نِكَالٍ غَدَاً يَرْتَدِي

ومن هنا يبدو التناقض بين إسلام مهيار وحبه لآل البيت وبين كرهه للعرب ولقريش والصحابة، فهو من ناحية يود آل البيت ويصفهم بالهداة يقول:[31]

[27]Mihyâr ed-Deylemî, a.g.e., s. 79.
[28]Mihyâr ed-Deylemî, a.g.e., s. 143.
[29]Mihyâr ed-Deylemî, a.g.e., s. 113.
[30]Muhammed Mahmûd Râfi'î, *Şerhu'l-Hâşimiyyât*, 1. bs., Matbaatu Şirketi't-Temeddüni's-Sınâ'iyye, Kahire ty, s. 84.

يا هُداةَ الدّينِ والنجَوةِ في يَومِ الهَلاكِ

بكمْ استدللت في حيرةِ أمري وارْتِباكِي

ومن ناحية أخرى يضع كل العرب والصحابة مرمى لسهامه الحاقدة، فهاهو يخاطب الإمام علياً منتقداً قبيلة قريش واصفاً إياه بالحقد والغل يقول:[32]

ما لِقُرَيْش مَا ذُقتك عَهْدهَا ودَامَجتك ودها عَلَى دُخَلِ

وطالبتك عَنْ قَدِيمِ غلها بَعْدَ أَخِيك بِالتّرَابِ والدّخَلِ

ومَا لِقَومٍ نَافَقُوا منمداً عمر الحَيَاةِ وبَغُوا فِيْهِ الغيل

2- تسخير موضوعات الشعر التقليدية لمصالحه الشعوبية

2.1- الافتخار بالعرق والمجد الفارسي:

الفخر في شعر مهيار غرض منتشر بكثرة، ويذهب معظم هذا الفخر إلى ملوك العجم وخصوصاً ساسان، فقد مدّ مهيار نسبه إليهم، وهذا في الحقيقة مظهر عام عند شعراء الشعوبية أمثال بشار وأبي نواس وغيرهم، يقول مهيار في الافتخار بنسبه:[33]

لا تَخَالِي نسباً يخفضني أنا من يرضيكِ عندَ النسبِ

قَومِي اسْتَولوا على الدهر فتى ومشو فوقَ رؤوسِ الحقبِ

عمّموا بالّشمسِ هاماتهم وبنوا أبياتَهم بالشُهبِ

وأبي كِسْرَى على إيوانهِ أينَ في الناسِ أبٌ مثل أبي

وفي هذه الابيات وإن كان يفخر بنسبه العجمي إلا أنه يعرّض بالعرب، فهو عندما يقول " عمموا بالشمس هاماتهم " فهذه إشارة إلى العرب وعمائمهم فهم لم يصلوا إلى حد نسب أجداده وعليائهم.

وقد اعتبر مهيار الأمجاد الفارسية أفضل وأعظم الأمجاد والنسب لهم أفضل الأنساب وخيرها، ففي قصيدة له يمدح كامل بن مهدي الفارسي الأصل ثم نجده يحوّلالمدح إلى الافتخار بنفسه يقول :[34]

أَقْحَطَت أَوْجُه البلادِ ومَنْ حولك للخَصْبِ رَوْضَةٌ وَغَدِيرُ

فَإلى بابكَ الحوائجُ تَحْدُو ولكَ العيرُ في الفلا والنفيرُ

عادةٌ مِنْ وَرائها شافعُ النفسِ وأصل بفرعهِ مَنْصُورُ

واكتِسابٌ أعانهُ شرفُ الميرَاثِ والمجدُ أوّل وأخيرُ

قومكَ الغالبونَ عزاً وهمْ قومِي على الأرضِ وهي ماء يمورُ

فنرى في البيت الأخير كيف قلب المدح إلى الفخر وهو بذلك لا يترك فرصة إلا واستغلها ليفتخر وينسب نفسه إلى المجد الفارسي. ومهيار لا يجد بداً من عقد المقارنات بين العرب والفرس عن طريق الفخر ليبرز أفضلية ومجد الفرس على العرب، يقول:[35]

أيّ مجدٍ يَضمنا وفخار يومَ أنسابُنا إليهِ تصيرُ

إن يفتنا الخطيبُ والمنبرُ المنْصوبُ فالتاجُ حظّنا والسريرُ

---

[31]Mihyâr ed-Deylemî, a.g.e., s. 299.
[32]Mihyâr ed-Deylemî, a.g.e., s. 50.
[33]Mihyâr ed-Deylemî, a.g.e., s. 370.
[34]Mihyâr ed-Deylemî, a.g.e., s. 112.
[35]Mihyâr ed-Deylemî, a.g.e., s. 64.

وكفيناهُ أمرَ رستم بالحربِ إذا عُدّد الرجال الذكُورُ

والذي قد سقى منَ الدمِ ذو الأكتَافِ حتى روى الثرى سَابُورُ

وواضح من هذه الأبيات كيف يعقد مقارنة بين أئمة المسلمين وخطبائها وبين ملوك الفرس، فالعمائم لا يمكن مقارنتها بالتيجان، وهذه الفكرة قد قالها مهيار قبل اعتناقه الإسلام لكن بطريقة أكثر علانية، يقول:[36]

شتّانَ رأسٌ يفخرُ التاجُ بهِ وأرؤوسٌ تفخرُ بالعمائمِ

ومهيار لم تحدثه نفسه أبداً أن يكون نسبه متصلاً بالعرب، فهو يجد نسبه أرفع مجداً وأعلى نسباً، يقول:[37]

أنا من علمت قديمه وحديثه على اليقينِ وإنْ جَهلتْ فسائلِ

قومي الملوكُ وخيم نَفْسِي خيمها أفلحْ بمثلِ أواخري وأوائلي

2.2- الحنين والشوق إلى دولة الفرس وأمجادها:

مهيار عاش في ظل البويهيين الذين ما زالوا تابعين إلى الخليفة العربي المسلم في بغداد، وعلى الرغم من أن البويهيين يمثلون الطرف الفارسي إلا أنهم كانوا مغلوبين على أمرهم، ولذلك كان يجد مهيار نفسه ضائعاً وغريباً في ظل الحكم العربي وكثيراً ما كان يحن ويشتاق إلى المجد الفارسي الضائع، يقول:[38]

أبْكِيهِم أثَرَاً ومَالِي أنْ أبرّهم عيان

للهِ منهمْ جَدّي الوضّاحُ أو أبي الهجان

هم خلفوني كالرذيلةِ لا أدينُ كما أدانُ

وهذه الأبيات تصدر من نفس ملتهبة بالشوق والحنين لكل ما هو فارسي، فقلبه جريح على ملك أجداده الضائع إلا أنه ينبض بالحب لكل مايذّكره بهذا المجد. وكثيراً ما يشكو مهيار الغربة التي نتجت من شعوره بالوحدة على الرغم من أنه كان يعيش بين المسلمين، لكنه في قرارة نفسه يجد قومه الحقيقيين هم الفرس الذين انتهى ملكهم ومجدهم يقول في الحنين لهم:

إنْ تسأليني بَعْدَ قَومِي كيفَ أوْجَدني الزمَانُ

وبقيتُ مِنْ بَعْدِ الجَمَاحِ وقَودِي سلسٌ ليانُ

فردا يزعزعني الأدى ويشل جانبي الهَوَانُ

2.3- الرثاء

من العجيب أن نجد شاعراً يرثي الآخرين ويستفيد ويستغل هذا الرثاء في إظهار شعوبيته وبيان نسبه، فرثاء مهيار تتدخل فيه العواطف الشخصية والعنصرية والمذهبية، فقد كان العرق الفارسي شاهداً في رثائه؛ فمثلاً يرثي عميد الجيوش أبا علي بن هرمز قائلاً:[39]

ولقدْ أُعدّ إذا بكيتك صادقاً في الحَافِظِينَ وواصلي الأرحام

أصلي وأصلك في مقرٍ واحدٍ وتفاوت الفرعين بالأقَسَامِ

وإذا تشجرت المناسب والتقى الفزان كان أبوك من أعمامي

شرفٌ وَصَلنَا حبْلَهَ في فارس بالمحكمين مرائر الأبرام

[36]Mihyâr ed-Deylemî, a.g.e., s. 162.
[37]Mihyâr ed-Deylemî, a.g.e., s. 61.
[38]Mihyâr ed-Deylemî, a.g.e., s. 335.
[39]Mihyâr ed-Deylemî, a.g.e., s. 184.

فهذا الرثاء هو أشبه بالفخر المنسوب للشاعر ولا علاقة للمرثي لا من قريب ولا بعيد.

وكثيراً ما كانت تمتزج شعوبية مهيار بتشعبه، فهاهو يرثي قائداً مات منسوباً إلى الفرس لكنه ما فتىء يعرّض بالعرب ويعلي مجد الفرس في هذه المرثية، يقول: [40]

المخذم البَتّار أسقط مِنْ يَدِي والغيث أقلع عَنِي المدْرَار

فاليومَ لا أبتْ الصغارُ ولا اغتدت إلا عبيداً فارس الأحرار

وتطأطأتْ ذُلاً فظلت ما اشتهتْ شَرَفاً عَليهَا يَعْرب ونزار

كنا وإن كرمت نفاخرها به فالآنَ مَا بَعْدَ الحُسَيْن فَخَارُ

وواضح من هذه الأبيات كيف امتزجت الشعوبية بالمذهب الشيعي عند مهيار . إذن رثاء مهيار وسيلة وليس هدفاً. وهكذا نلاحظ أن الرثاء عنده متشعب ومتجذر بالأرومة الفارسية وهو عبارة عن جسر يصل من خلاله إلى الفخر بالنسب والمجد الأعجمي.

2.4- الغزل

إذا نظرنا إلى النسيب والغزل عند مهيار فإننا سنجد الفكر ذاته، فقد يظن السامع أن غزله كالغزل المعروف في وصف النواحي المادية من عيون ووجه ورائحة وغيرها مما اشتهر عن شعراء الغزل، لكن غزل مهيار يختلف قليلاً عما سواه فهو مصبوغ بقضايا النسب والعرق. فمهيار يعتبر ارتباط المرأة العربية بالرجل الفارسي من الروابط التي لا يمكن أن تنفصل، لكن ماهو السبب؟ السبب هو النسب الفارسي الأصيل، يقول مخاطباً محبوبته:[41]

يا أخْتَ فِهر والمحبّةُ بيننا نسب وإن ناداك غير نسيب

فالمسالة ليست مسألة عيون أو جمال، وإنما القضية هي قضية نسب ومجد. وقد رد مهيار على أم سعد السائلة عن نسبه بشموخ فارسي وإباء يمتد جذوره إلى بني ساسان، يقول:[42]

أعجبت بي بين نادي قومها أم سعد فَمَضَتْ تَسْألُ بِي

سَرّهَا ما عَملت من خلقي فأرادت علمها ما حسبي

لا تَخَالِي نَسَباً يخفضني أنا مَنْ يُرْضِيكِ عِنْدَ النّسَبِ

وهكذا نرى كيف طوّع النسيب والغزل وجعله ممراً ومعبراً لأهدافه الشعوبية.

الخاتمة:

بعد أن بينا أهم مظاهر الشعوبية في شعر مهيار الديلمي لا بد لنا أن نقرر بعض الحقائق حول هذه الظاهرة.

لم يكن مجال الشعوبية في السياسة فقط وإنما امتدت لتشمل كل نواحي الحياة، فأسباب هذه الظاهرة كانت نتيجة للأوضاع السياسية التي تغيرت في ذاك العصر.

عمل الشعراء على استغلال الأوضاع السياسية في شعرهم وخصوصاً الذين ينحدرون من أصل فارسي ليبينوا فضل الفرس على العرب، ولم يكن استغلال هذه الظاهرة عشوائياً، بل كان منظماً وذا أهداف واضحة.

ظهرت في شعر مهيار شعوبية من نوع خاص وهي أن معاني قصيدته وإن جاءت بألفاظ عربية، لكن هذه معانيها غير عربية، ومن هذا قوله عن قصيدته التي تمتد معانيها إلى ساسان رغم ألفاظها العربية، يقول:[43]

مدّت إلى سَاسَانَ نَاشر عِرْقِهَا وقَضَتْ لَهَا عَدْنَانُ بالعَرَبِيَة

[40]Mihyâr ed-Deylemî, a.g.e., s. 41.
[41]Mihyâr ed-Deylemî, a.g.e., s. 251
[42]Ebü'l-Ferec İbnü'l-Cevzî, *a.g.e.*, s. 253.
[43]Ebü'l-Fidâ İbn Kesîr, *el-Bidâye ve'n-Nihâye, Matbaatü's-Saâde*, Kahire 385, C. 11, s. 344.

لقد كان مهيار شعوبياً ومتشيعاً في نفس الوقت وكانت شعوبيته أكثر ظهوراً وتأثيراً في شعره.

ناقشنا ظاهرة الشعوبية في شعر مهيار، لكن لا يظن السامع أن شعر مهيار كان كله شعوبياً، فهذا غير صحيح، فديوانه حوى كثيراً من الموضوعات، وإن كان بعض الباحثين وجد أن موضوعات الشعر عنده كانت تقليدية واشتملت على الصناعة اللفظية في كثير من الأحيان.

المصادر والمراجع:

Kaynakça

AHMED EMÎN, *Zuhru'l-İslâm*, Matbaatu Halef ve Matbaatu Lücneti't-Te'lîf ve'n-Neşr, 1957.

BÂHARZÎ, Ali b. Hasan, *Dimyetü'l-Kasr ve Usretü Ehli'l-Asr*, el-Matbaatu'l-İlmiyye, Halep.

DEVRÎ, Abdülaziz, *el-Cüzûrü't-Târiîhiyye li'ş-Şu'ûbiyye*, Dâru't-Talîa, Beyrut 1998.

EBÜ'L-FEREC el-İSFAHÂNÎ, *el-Egânî*, 6. bs., Kahire

HİCÂB, Muhammed Nebîh, *Mezâhiru'ş-Şu'ûbiyye fi'l-Edebi'l-Arabî hattâ Nihâyeti'l-Karni's-Sâlisi'l-Hicrî*, 1. bs., Matbaatu Nahdati Mısr, Kahire.

İBN ABDÜRABBİH, *el-İkdü'l-Ferîd*, Matbaatu Lücneti't-Te'lîf ve'n-Neşr, Kahire 1940.

İBN HALLİKÂN, *Vefeyâtu'l-A'yân ve-Enbâ'i Ebnâ'i'z-Zamân*, Muhammed Abdulhamid (Thk.), Matbaatu's-Saâde.Kahire.

İBN KESÎR, Ebü'l-Fidâ, *el-Bidâye ve'n-Nihâye*, Matbaatü's-Saâde, Kahire 385.

İBN MANZÛR, *Lisânü'l-Arab*, Dâru Beyrut, 1956

İBN MİSKEVEYH, *Tecârübü'l-Ümem*, Matbaatü't-Temeddüni's-Sınâ'iyye, Kahire.

İBN ŞEHRÂŞÛB, *Me'âlimu'l-Ulemâ*, el-Matbaatu'l-Huyûriyye, Necef 1961.

İBN TAĞRÎBERDÎ, *en-Nücûmu'z-Zâhire.*

İBNÜ'L-CEVZÎ, Ebü'l-Ferec, *el-Muntazam fî Târîhi'l-Mülûk ve'l-Ümem*, Haydarabad 1353.

İBNÜ'L-ESÎR, İzzeddin, *el-Kâmil fi't-Târîh*, el-Matbaatu'l-Munîriyye ve Matbaatu'l-İstikâme, ty.

MES'ÛDÎ, Ali b. Hüseyin, *el-Mürûcu'z-Zeheb ve-Me'âdini'l-Cevher*, Muhammed Abdulhamid (Thk.), Matbaatu's-Saâde, Kahire.

MİHYÂR ed-DEYLEMÎ, *Dîvânu Mihyâri'd-Deylemî*, 1. bs., Ahmed Nesîm (Thk.) Dâru'l-Kutubi'l-Arabiyye, Kahire.

RÂFİ'Î, Muhammed Mahmûd, *Şerhu'l-Hâşimiyyât*, 1. bs., Matbaatu Şirketi't-Temeddüni's-Sınâ'iyye, Kahirety.

ŞERÎF, Muhammed Bedî', *es-Sırâ' beyne'l-Mevâlî ve'l-Arab*. Dâru'l-Kitâbi'l-Arabî, Kahire 1954

TAHA HÜSEYİN, *Hadîsü'l-Erbi'â'*, Dâru'l-Maârif, Kahire.

ZÜHEYRÎ, Mahmûd Ganâvî, *el-Edeb fî Zılli Benî Büveyh*, Matbaatü'l-Emâne, Kahire 1949.